بسم الله الرحمن الرحيم

الحثُّ على تعلُّمِ القُرآن:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «خيركم مَن تَعلمَ القُرْآنَ وعَلمَهُ». أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن.

تعليق: قد تقاصرت همم المُسلمين في هذه المدة الأخيرة عن تعليم القرآن وتعلّمه، فقلّ الحافظون له، فعلى كل من نصّب نفسه لإرشاد المُسلمين في دينهم أن يحثّهم على العناية بحفظ كتاب ربِّهم، وعلى الكُتَّاب أن يطرقوا هذا الموضوع الكثير النواحي. هذا يأتيه من ناحية فضيلة القرآن، وذلك من ناحية اختيار المُعلّمين وما هي الصفات المطلوبة فيهم، والآخر من ناحية أسلوب التعليم وما هو الأقرب إلى التحصيل من أيِّ الأساليب، ورابعٌ من ناحية تحسين حال المُعلمين وتوفير أجرتهم، وكل من هذه النواحى يلزم أن تتعدد فيها الكتابة حتى تُحدثَ تأثيرا في المُجتمع وتكون رأيـًا عامًّا في الموضوع. وحسبنا في هذا الباب باب الآثار والأخبار ما أرشدنا إليه. والحديث صريحٌ في فضل من جمع بين تعلّم القرآن وتعليمه لغيره وأنّه خيرٌ من غيره، وإنّما ثبتتْ له هذه المزية لأنَّ المُراد مِن «مُتعلِّمه» مَنْ حفظه وفهمَه وعمِل به، والمُراد مِن «معلِّمه» مَن يلقّنُه غيرَه ويفسِّره له ويُرشدُه إلى العمل به. وإذا كان هذا النوع الممدوح في الحديث المفضل على غيره بشهادة الصادق المصدَّق مفقودًا مِن بيننا -أو كالمفقود- فالواجب علينا السعي في تكوينه، ولهذا دعونا الكُتَّاب إلى العناية بهذا الموضوع.

قال الحافظ ابن حجر في بيان وجه خيريَّة مُعلِّم القرآن ومتعلمه: «ولا شكَّ أنَّ الجامع بين تعلّم القُرآن وتعليمه مُكمِّلٌ لنفسه ولغيره، جامعٌ بين النفع القاصر والنفع المُتعدى، ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى سُبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فُصِّلَت]. والدعا إلى الله يقعُ بأمُور شتَّى من جُملتها تعليمُ القُرآن، وهذا أشرف الجميع».

هذا كلام ابن حجر، ثمَّ أفاد أن ليس المُراد بهذا الحديث من كان قارئًا أو مُقرئًا محضًا لا يفهم شيئا من معاني ما يَقرأه أو يُقرِئه.

مَدحُ العَامِل بالقرآن

عن أبي مُوسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «المُؤمِنُ الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ. وَالمُؤْمِنُ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا. وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَالحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَرِيحُهَا مُرٌّ». رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

تعليق: جعَل رسُول الله ﷺ طيب الطعم دائرًا مع العمل، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة. والمُجدِي على المرءِ هو عمله. أمَّا التلاوة وحدَها فإنها لا تُجدي. فالمُنافق يتلو القرآن ولكنَّه في الدرك الأسفل من النار. وقد دلَّ الحديث على أنَّ العمل بالقرآن درجتين أعلاهما الجمع بين التلاوة والعمل. ودل على أنَّ لمخالفة أوامِره ونواهيه دركته أدناها الجمع بين الإمراض عن حفظه والإضراب عمَّا دعا إليه.

والعمل بالقرآن يقتضي فهم معانيه، وكذلك كان المُخاطَبُون بهذا الحديث، فإنَّ القرآن بلُغَتِهم نزَل. ولهذا لمْ يقُل في الحديث: «**المُؤمن الذى يقرَأ القُرآن ويفهمه ويعمَل به**». لأنَّ ذكر الفهم لأولئك المُخاطبين حشوٌ، تتحاشى عنه البلاغة النبويَّة.

فيا أيُّها القُرَّاء المُؤمنون تطلّبُوا معَاني ما تقرأون، واعمَلوا بما تفهمون، كي تكونوا أترجة، **ويا أيها المؤمنون الأميون**، اسألوا أهل الذكر والعلم بكتاب ربكم وتحروا العمل بما دعاكم إليه كي تكونوا تمرة. وقد دلت مقابلة القارىء العامل بالقارىء المنافق على تسمية من يخالف ما يقرأه منافقا، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار وهم أخسّ صُنوف الكفار. ولكنا نجد من الناس من لا يُختلَف في إيمانه ثُمَّ هو يُخالف مَا يقرأه. وقد قال العُلماء: إنَّ هذا النَّوع من المُؤمنين يُسمَّى نفاقهم نِفاق عمَلٍ لا نفاق كُفر، ويُسمَّوْن مُنافقين مجازًا لأنّ فيهم خِصلةً من خِصالهم وهي المُخالفة للأوامر. فالقارىء إن لم يعمَل بما يقرأه فهو منافقٌ حقيقةً أو مجازًا. أعاذنا الله وإياكم من النفاق حقيقته ومجازه وجعلنا ممَّن يتلو كتَابه عالمًا بمعانيه عاملا بما يفهمه منه.

ذمُّ المُباهي والمُتعيِّش بالقُرآن:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**تعلموا القرآن واسألوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا. فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهى به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله**» [السلسلة الصحيحة258].

رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، وصححه الحاكم، نقله الحاكم في فتح الباريء (9: 82).

تعليق: حديث أبي سعيد أخرجه الإمام أحمد بلفظ آخر، وفي آخره: «**ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر**». وفسر الراوي عن أبي سعيد الفاجر بمن يتأكّل بالقرآن. فقوله في رواية أبي عبيد: «**ورجل يستأكل به**» بمعنى الفاجر في رواية الإمام أحمد. ويكون حينئذ قوله في رواية أبي عبيد «**رجل يباهى به**» بمعنى قوله في الرواية الأخرى: «**ومنافق**».

وقد دل الحديث على **ذم المباهي بتلاوته**. وكثيرا ما يقصد قرّاء زماننا المباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم، ولا سيما إذا كانوا يتلون مجتمعين بصوت واحد، فليحذر من يجد هذا من نفسه وليعلم أن كتاب الله هداية تخشع لها القلوب، وتستسلم الجوارح.

ودلّ أيضا على **ذم المسترزق بالقرآن**، وكثيرٌ من قرّاء زماننا لا يقصدون من حفظه إلا التوسل به للتلاوة على الموتى بأجرة ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة.

ولا يتناول هذا الذم من يأخذ الأجرة على تعليم القرآن إذا كانت في مقابلة تعبه، وشغل وقته، ولم يتخذ تعليمه صناعة من الصناعات المادية المحضة، بل على هذا المعلم – إن أراد السلامة من ذلك الذم – أن يكون هو نفسه عاملا بكتاب الله، وأن يقصد من تعليمه الدعوة إلى العمل به.

الغَايةُ من قِراءَة القُرآن:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: «**أنزل عليهم القرآن ليعملوا به، فاتخذوا درسه عملا. إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته، ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به**». نقله الثعالبي في تفسيرة (1: 9).

تعليق: ذم ابن مسعود من اتخذ تلاوة القرآن عملا. فكيف حال من آجَرَ نفسَه لتلاوةٍ، وباعَ عمَلهُ ذلك؟

وللفقهاء خلافٌ في حصُول الأجر لمن يقرأ القرآن من غير فهم ولا تأمُّل. وهذا إذا قصد التالي بتلاوته وجهَ الله تعَالى، لأنَّ الإخلاص شرطٌ شرعيٌّ لترتيب الثواب الأخروي، فهل هذا الذي يتلُو القُرآن من غير فهم بأجرة مخلصٌ لله في تلاوته حتّى يُختلَف في إثابته على التلاوة؟ وقد فتحنا بابا للبحث في موضوع "الفداوي" واللبيب يكفيه ما اقتصرنا عليه.

المصدر: أحاديث منتقاة من كتاب: «مجالس التذكير من حديث البشير النذير» للعلاّمة عبدالحميد بن باديس رحمه الله (ص201 وما بعد)

قال العلاَّمة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله

«تدبُّر القُرآن واتِّباعُه هُمَا فرقُ ما بينَ أوّل الأمّة وآخِرها وإنَّه لفرقٌ هائل، فعدَمُ التدبُّر أفقدَنا العِلم، وعدَمُ الاتِّباع أفقدَنا العَمَل. وإنَّنا لا ننتَعش من هذه الكبوة إلاّ بالرُّجوع إلى فهمِ القرآن واتِّباعه، ولا نُفلح حتّى نُؤمِنَ ونعمَل الصَّالحات ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧] »

نقلا عن تصدير العلاَّمة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله لكتاب «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» للعلاَّمة عبدالحميد بن باديس رحمه الله (ص26)

تَعلُّمُ القُرآن وَتعلِيمُه

للإمام المصلح الشيخ:

عَبْدُ الحَمِيدِ بنِ بَادِيس

رحمه الله